«طريق الآلام» للحصول على رخصة بناء قد ينتهي بهدم البناء بعد انجازه

انعكاسات السياسة التنظيمية على حق البقاء وفرص العمل والعيش بكرامة

وردتنا عشرات الشكاوى من المواطنين في قرى لواء رام الله والبيرة، موضوعها الاحتجاج على اجبارهم سلوك الطرق الملتوية التي تكلفهم غاليا، للحصول على رخص بناء لبيوتهم . يصف المواطنون معاناتهم، التي ينتهي بعضها بهدم البناء بعد استكماله وتجهيزه ، وبعضها يصل درجة وقف البناء بعد الارتفاع به مسافات مختلفة ، حيث لا تحول الرخصة الرسمية دون ذلك، وبعضها يمنع منعا باتا . وقسم آخر ينجو "باعجوبة" بعد ان يرى اصحابها "نجوم الظهر" ، ويدفعوا ما يلزم لـ "تسليكها" !

تقرير / حسين فرح الطويل

بهذه الخلفية توجهنا لاجراء هذا التحقيق ، حيث التقينا باصحاب الشكاوى على انقاض منازلهم ، او حول الجدران التي فرض عليها ان تظل ناقصة وغير مسقوفة ، او على اراضيهم التي يحرمون من البناء عليها .

قابلنا مهندسين، مساحين، قانونيين، عمال بناء، الذين يصفون في هذا التقرير انعكاسات السياسة التنظيمية المتبعة في المناطق المحتلة على حق البقاء والعيش بكرامة وفرص العمل والقدرة على التصدي لتحديات الازمة الاقتصادية الراهنة .

فرحة لم تتم

العامل خضر نعمان عبد الرؤوف من برقة – عامل طوبار – وعدد افراد اسرته ثمانية ، تسكن حاليا في تسوية صغيرة، وقفنا وهذا العامل واخوته على انقاض، ما كان فيما مضى بيتا – يقول العامل – انه كان مؤلفا من طابقين، يبلغ مسحطه ٢٤٠ م٢ وكلفته

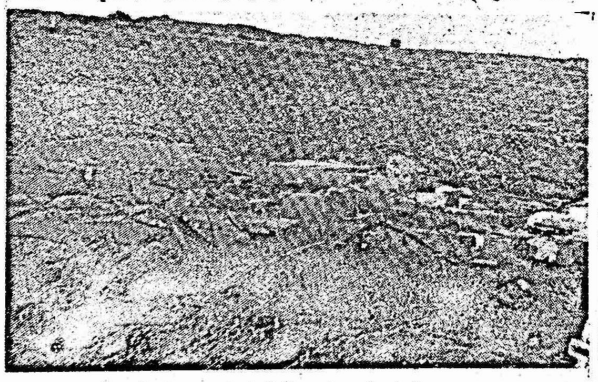

انقاض البيت الذي لم يفرح العامل خضر نعمان بسكناه

٢٢ الف دينار، وفرها صاحبه من قوت اطفاله على مدى ١٨ عاما . واستمر البناء مدة ١٥ سنة، ولكن لم يسكن صاحبه الطابق الثاني لفترة تزيد على الشهر، عندما حضرت جرافات السلطة لتشق شارعا استيطانيا، يمر عبر قطعة الارض المقام عليها البناء، بما يتبع ذلك من وجوب الابتعاد عن حائطي هذا الشارع مسافة ١٥٠ مترا علما ان المساحة الاجمالية لارض صاحب البيت ٥ر٥ دونم.

بقي ان نذكر، ما اضافه العامل، ان السلطة لم تنس ان تحمله مسؤولية جرف بيته وتحويله الى انقاض ، عندما طلبت منه، بعد ان سكن الطابق الثاني ، استصدار رخصة، كانت الاجابة الرسمية عليها، الرفض بدون ذكر الاسباب .

الرخصة لا تحمي البيت

السيد حسن مصيطف من بيتين ، يتكلم عن بيت ابنه احمد، ويقول : اوقفته السلطات عن اكمال البناء، بعدما استصدر رخصته ، وباشر بالبناء الذي ارتفع مسافة ٥٠ر١ مترا عن سطح الارض . وكانت الحجة قرب القطعة من معسكر للجيش، علما انها تبعد مسافة ٥٠٠ متر عن ذلك المعسكر ، وتم الشروع في البناء على جزئها الابعد، ومساحتها ثلاثة دونمات ومئتي متر. ولا يوجد لصاحبها اى قطعة ارض اخرى، وان عدد افراد اسرته تسعة، وامام اصرار صاحب الارض على حقه في البناء عليها، فقد عرضت عليه السلطات ان تدفع له تعويضات مالية، بعدما يهدم ما بناه، الامر الذي رفضه المالك .

عقبة عند كل خطوة

ثم قمنا بجولة شملت مكاتب المهندسين والمساحين في مدينتي رام الله والبيرة، حيث تتبعنا الاجراءات التي يرغم طالبو الحصول على رخص البناء لسلوكها وشاهدنا قضايا عينية محددة، فضل اصحابها عدم نشر اسمائهم وعناوينهم المحفوظة لدينا .

«يجب عمل الخارطة عند مساح آخر»!

شاهدنا خارطة في احد المكاتب، كتب عليها مرفوضة وانه "يجب عمل الخارطة عند مساح آخر" . انها خارطة لتجديد رخصة بناء بيت في قرية بيت سوريك، قدمت للجنة الدراسة الاولية، وتم رفضها بالحجة المذكورة، علما ان المساح الذي اعدها مرخص من دائرة المساحة، كما ان الخارطة نفسها مصدقة من دائرة المساحة ، وعندما كان الطلب هو تجديد رخصة، من البديهي ان تكون الرخصة الاصلية قانونية ومصادق عليها، لذلك يؤكد المهندسون والمساحون، ان رفض الخارطة وبالتالي رفض طلب تجديد الرخصة هو غير قانوني، ولم يكن لاسباب موضوعية، وانما لاسباب ذاتية تتضمن اعادة الخارطة ليقوم احد "المرضي عنهم" اعدادها ثانية .

موافقة مبدئية بعد ١٠ شهور

حصلت معاملة احدى المخططات في قرية عين يبرود ، على الموافقة المبدئية ، دون الرخصة ، بعد مدة عشرة شهور، في حين لو قدمت من تحت الطاولة لكانت انجزت في ظرف شهر الى شهر ونصف كحد اقصى – هذا ما روته عدة مصادر شملت المهندسين ، المساحين واصحاب الاراضي والمخططات .

وحصلت احدى الاسر في قرية مخماس على رخصة بناء بعد عام من المماطلة والتسويف ، فيما كان يجب ان لا تزيد مدة بحثها واصرارها عن شهر .

طريق الآلام

استطاعت "الطليعة" عبر جولتها ولقاءاتها، ان تتبع طريق الالام ، التي يتعين على المواطن سلوكها باتجاه الحصول على رخصة بناء ، وان تلمس ان عددا محدودا من المساحين المهندسين، والرسامين ، مستغلين مواقعهم الوظيفية في الدوائر الاسرائيلية الرسمية . فمنذ بداية التفكير بالمخطط الهندسي، يأتي صاحب المصلحة مباشرة الى المهندس او الرسام، الذي سمع عنه بانه "حلال العقد" فيحوله هذا الى مساح مرخص له علاقة عمل بالمهندس، من اجل عمل المخطط ، فيقوم المساح بمسح قطعة الارض، وبعد عمل يوم، يقوم المساح اثناء بحسابها وترسيمها ويرسلها الى دائرة المساحة في رام الله للكشف ، وبعد اخذ وعطاء تعين الدائرة موعدا للكشف بعد عدة ايام، وان كنت من "شلة الكبار" يعين موعد الكشف في اليوم نفسه اوفي اليوم التالي .

بعد ذلك، توضع المعاملة في ادراج دائرة المساحة ، لتشق طريقها بصعوبة بالغة من اجل تدقيق المعلومات والارقام، وقد تحتاج مدة اسبوعين على الاقل ، وان كنت ذا علاقة "بشلة الكبار" فلن تستغرق عملية التدقيق اكثر من ساعات قليلة

بعد هذا، تسير المعاملة في طريقها الشائك نحو دائرة التنظيم، من اجل الحصول على رخصة البناء هنا تبدو معالم طريق الالام والمعاناة اكثر ارهاقا واستنزافا للوقت والجهد والمال . حيث تسلم المعاملة لدائرة التنظيم بعد جهد جهيد . وهناك تعمل موظفة واحدة لتسيير اكمال مئات المخططات، وبعد ذلك تنتظر المعاملة الموافقة المبدئية بعد طول عناء .

لتاخذ طريقها الى الحكم العسكري، حيث تنتظر ردحا من الزمن وبعد ذلك الى دائرة حارس املاك الغائبين ، ودائرة الاثار، ومن ثم لتعود الى دائرة التنظيم لاخذ الموافقة النهائية والارتدادات .

لتعود، "بعد ثلاثة شهور الى صاحب المعاملة، ليقدمها الى المهندس الذي يضع المخططات ويقدمها لدائرة التنظيم، من اجل الموافقة عليها . ويستمر هذا الوضع مدة تزيد على الشهر لتاخذ رخصة بناء، اى ان المعاملة تستغرق (هذا اذا لم يتم وقفها) اكثر من ٦ شهور تصل الى العام .

وان كنت من الجماعة "المرضي عنهم" فان معاملتك لن تستغرق اكثر من شهر كحد اقصى او اسبوعين كحد ادنى .

٣ أسباب رئيسية للرفض

اسباب الرفض الرئيسية التي تكتبها لجنة المعلومات، اللجنة الاولية لدراسات المخططات ، يمكن تلخيصها في ثلاثة :

– ان الارض زراعية، حيث ترفض معظم المخططات بهذه الحجة، ويمنع البناء في معظم الاراضي بالحجة نفسها. واذا حدث ووافقت دائرة التنظيم فان ذلك لا يتعدى السماح ببناء ما مساحته ١٥٠ م٢ + ٥٠ م٢ تسوية مهما كانت مساحة الارض المنوى البناء على جزء منها، وان هذه الحجة تستمر حتى بعد الافراز. اذ تتعامل السلطات على اعتبار ما كان .

– ان عرض القطعة يقل عن ٤٠ مترا من الطريق الموصل اليها، حيث رفضت مخططات عرض قطعة الارض المنوى البناء عليه ٢٨ مترا، مع ان مساحتها بلغت ١٠ دونمات.

– بموجب المشروع الاسرائيلي لتخطيط منطقة المركز الذي رفضته الفعاليات الوطنية لحظة الاعلان عنه. كما ترفض الان المخططات المتفرعة عنه مثل المخططات الهيكلية لمدن بيت جالا، بيت لحم، بيت ساحور. وبموجب المشروع المذكور ، ترفض طلبات مخططات بناء باحدى حجتين رئيسيتين او بهما معا .

الاولى : مرور شارع استيطاني مقترح.

والثانية: الارتداد عن الشارع مسافة تتراوح ما بين ٢٥ – ١٥٠ م.

صباح الوطن

وردة.... على جبين القمر

"قد الوردات العطشانة لماية آذار،
قد العمال الفرحانة بشهر ايار ،
قد البوسات بتستقبل عام جديد،
قد الاطفال الفرحانة بجية العيد،
حب النسوان الصارن في المحنة شراع ."

.. كلمات من اغنية لفرقة الطريق العراقية ، واستقبال بهجة لعيد المراة العالمي، الثامن من آذار .. تلك هي الاستجابة السريعة في الذهن لكلمات الاغنية ، ولكن ان تجر الكلمات ، وتوغل معها في المعاني ،فذلك شيء آخر .

كل مرة، اسمع فيها الاغنية، تندفع الى ذاكرتي ، بوقاحة، واقعة مخجلة ، وبجلال، تخطو على ارض الذاكرة مئات الصور الحية والموحية لنساء بلادنا، الباقيات منهن ، واللواتي يحملن في افئدتهن حلمهن الانساني في "جمع الشمل" ، ولا اعرف سبيلا الى دفع الصورة المخجلة واستئصالها من بين الصور الجميلة . وتظل بثقل دمها ، وبثقل دم اصحابها علامة من الوجه العتم .. ودون "لف ودوران " هذه هي الواقعة :

قبل سنوات ، قامت واحدة من مؤسسات بلادنا الاكاديمية رفيعة المستوى ، جنوبي الضفة ، باحياء عيد المراة العالمي على طريقتها الخاصة، بعد ان رفضت طلبا تقدمت به لجنة المراة العاملة من اجل توفير احدى القاعات لاحياء ذكرى الثامن من اذار في المؤسسة نفسها .

وكان الاحتفال ... !؟

وزع القائمون على المؤسسة دعوات خاصة، – تندر بعض الظرفاء وسموها "دعوات الى نساء المجتمع الراقي" – وحضر المدعوون :

نساء مزهوات بما يلبسن من صرعات الموضة ، وصبايا / ضحايا لم تبق المساحيق من وجوههن سوى ابتسامة بلهاء ، ورجال تتدلى من ياقاتهم البيضاء ربطات العنق الملونة، وكان ما كان، صخب وموسيقى وضحكات ، وقليل من الحديث عن "حرية المراة" بلغة خطابية لا معنى لها، وكذل حفل من هذا النوع، اكل الحضور "الجاتوه" وتفنن الرجال في معايدة النساء ، وعلى استحياء ردت النساء الحضور، على اطراءات الرجال ، بكلمات انثوية مهذبة .. وكانت سهرة تحدث عنها الجميع ... !!

.. وهكذا ، تقدم برجوازية بلادنا، على ضآلة امكانياتها وحجمها ، مشروعها المقابل لـ "حرية المراة" ، وهي في ذلك ، وان لم تقصد ، تقدم وجهة نظرها التقليدية ، المعروفة ، واجدة في المراة وحريتها موضوعا احتفاليا ممتعا، ومناسبة تؤكد من خلالها على الدور الذي ارتاته لها، امراة مطبخ ومربية .. وموضوع اغنية ماجنة ، بصرف النظر عن متاعبها في مثل هذه المرحلة ..

وعلى الضفة الاخرى، يزهر مشروع آخر، يزداد كل يوم عدد الداعيات، والمدعوات لتنفيذه ، والايام تعطي برهانها ساطعا في الدور الذي باتت تلعبه المراة في بلادنا! أما وزوجة وشقيقة ورفيقة متاعب عصية على الانهاك والنكوص الى وراء .

والصور خصبة ، يانعة ،

.. امراة يتسع جرحها يوما بعد يوم، تكفكف دموعها وتنهض ، وتنهض في عزائم الايام نهاراتها المشرقة، لم تعد المراة التي تجيد البكاء فقط.. الان تعرف كيف يحتضن جرحها، على اتساعه ، متاعب الابناء والزوج والحارة الكبيرة .

.. صبية تتابط كراريسها ، وتجيد الى جانب وظائفها المدرسية وظائف اخرى ، اعتبرها "البعض" مهمات لا يقوم بها سوى الرجال ، صبية يشدها النشيد، ولا تعير انتباها .. لهذا الذي يغني "عيني مريامة "!!

ام تزرع على شفاه صغارها اغنية فرح، تغفو ليلا على متاعبهم ، وتورقها المتاعب، وتصحو على رجائهم وتشد الخطى، كما الرجال، كي لا يخيب رجاء الصغار .

جدة لا يضيق حنانها ، تحب "الولد ، وولد الولد" ، تحفظ من عمرها حكايات وتحلنها في عقول الصغار ، مصلا يقتل في الذهن البوار .. وتجيد الى جانب فلاحة الارض وغرسها، فلاحة الرؤوس البكر، وتخصب في العقول حنينها الى الفجر.. ولا تتعب، حتى على فراش الاحتضار لا تمل عينيها الوصية، ودمعتها تهز في السواعد الغضة همتها للايام القادمة.

.. ويهل الثامن من آذار ككل عام، والمراة في بلادنا ، هي .. هي ، الشجرة الباسقة التي تعطي بلا حدود ثمرا، ودفئا، وفي حرنا القائظ ظلا تغفو على راحته المتاعب .

وفي عيدها، ما من هدية نقدمها سوى ورده امانينا المتفتحة دوما على جبينها .. على جبين القمر ..

– فالح العطاونة –